
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

تدريس اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى

ملاحظات حول تدريس النصوص والأدب

الدكتور محمد محمد محمد الكومي ــ معهد اللغة العربية ــ جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة

إن التعليم عملية صعبة معقدة منذ فجر التاريخ حتى اليوم ، فعملية التعليم ليست مهنة عادية ، وانما هي رسالة من أقدس الرسالات وأشرفها ، فالتعليم هو الذي يثقف العقول ويهذب النفوس ويبني الأجيال ، ولهذا اهتم القرآن الكريم أول ما اهتم بطلب العلم ، فكان أول ما نزل به الوحي على محمد ﷺ قول الله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ﴾[١] ويقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم في سورة أخرى ﴿ نٓ ، والقلم وما يسطرون ﴾[٢] ، تنويها بفضل العلم ، ويقول جل شأنه في سورة أخرى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[٣] ، ويقول أيضا : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾[٤] ، بل إننا أمرنا أن نستزيد من العلم ﴿ وقل رب زدني علما ﴾[٥] ، كل هذا يدلنا على شرف العلم وفضله وقداسته . ولهذا حثت السنة النبوية الشريفة على طلب العلم في مواطن كثيرة ، « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »[٦] ، و « العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[٧] و « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »[٨] .

(١) قرآن كريم : سورة العلق آية ١ ــ ٥ .
(٢) قرآن كريم : سورة القلم آية ١ ــ ٢
(٣) قرآن كريم : سورة الزمر آية ٩ .
(٤) قرآن كريم : سورة المجادلة آية ١١
(٥) قرآن كريم : سورة طه آية ١١٤ .
(٦) سنن ابن ماجة جـ ١ ص ٨١ ، رواه أبو داود والترمذي .
(٧) نفس المصدر السابق جـ ١ ص ٨٣ ، رواه أبو داود والترمذي .
(٨) نفس المصدر والصفحة والرواة .

وقديما أشاد الأدباء بالعلم والعلماء إذ يقول شاعرنا العربي القديم :

العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت المجد والشرف

ولقد حذا المحدثون حذو القدماء في التنويه على طلب العلم وفضله ، ومن ذلك ما نراه من قول أمير الشعراء أحمد شوقي :[1]

قم للمعلم وَفِّهِ التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسـولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشيء أنفسا وعقـولا

وعملية التعلم هذه تبدأ مع بداية ولادة الانسان ، فيتعلم التكلم بتقليد أمه وأبيه ومن حوله ، ويتعلم كثيرا من الحركات والعادات وخواص الأشياء من جراء احتكاكه بها ، ويتعلم بعض القواعد الأخلاقية بتأثير الحياة الاجتماعية ، وهذه الأشياء يتعلمها ــ يكتسبها ــ تلقائيا ، وهذا لا يدخل في مجال هذا البحث ــ وانما الذي نعنيه هنا هو : التعلم بواسطة من يقصدون التعليم ، وأخص المعلمين في دور العلم .

والتعليم ليس مجرد عملية حشو الأذهان بالمعلومات والمعارف ، وانما التعليم المثمر هو الذي ينمي القابليات ، ويكسب المهارات والخبرات ، ويساعد على التخيل المثمر والتصور الواضح ، والتفكير المنظم ، ويثير في نفس المتعلم الميول والعواطف السامية ليكون رجل المستقبل ، والمواطن الصالح لحياة أسمى وأفضل[2] . أو بمعنى آخر أصبح التعليم ضرورة من ضرورات الحياة في المجتمع إذ أنه يعد الأفراد للحياة الناجحة سياسية واقتصاديا واجتماعيا ودينيا .

ولما كان التعليم أحد الجوانب الهامة لمقومات حياة البشر فمن البدهي أن يتأثر بما تتأثر به الجوانب الأخرى ، وصحيح أننا لا نستطيع أن ننقل نظاما تعليميا بحذافيره من بلد إلى بلد آخر لاختلاف الظروف والعوامل المؤثرة ، ولكننا نستطيع أن ننقل الآراء والنظم التربوية والتعليمية بعد أن نعد لها بما يلائم البيئة الجديدة المنقولة إليها . فما من نظام تعليمي إلا وتأثر بغيره من النظم وما من نظرية تربوية اجتماعية إلا وتخطت حدود البلد الذي ظهرت فيه ، فأثرت في النظم التعليمية ، على أن ذلك لم يظهر في عالمنا المعاصر فحسب ، بل لقد ظهر أيضا في العصور القديمة من قبل .

(١) الشوقيات جـ ١ ص ١٨٠ .
(٢) رائد التربية العامة وأصول التدريس ط ٢ ، ١٩٧٠ ص ٣٨ .

فقد تأثر التعليم عند الرومان بالتعليم عند اليونان ، وتأثرت المدارس الأدبية منذ عصر النهضة بعلوم العرب ومدارسهم ، وأثرت الحركة الانسانية في عصر النهضة على تنظيم التعليم ومناهجه .

كما أثرت حركة الاصلاح الديني تأثيرا بالغا في نشر التعليم في البلاد الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية ، وأثرت الثورات الصناعية والسياسية منذ القرن الثامن عشر على تنظيم التعليم وتوجيهه في كثير من البلاد ، وفي وقتنا الحاضر تنتشر النظريات العلمية الجديدة في بقاع الأرض وتؤثر في حياة الناس[1] .

ولما كان التعليم فنا متشابك الأطراف ، بمعنى أنه ليس المادة التي يعرفها المعلم فحسب وإنما هو بالإضافة إلى المادة خبرة ومهارة فنية . ذلك لأن المادة مجموعة نظريات وحقائق إذا حفظها الانسان أصبح عالما بنظريات التعليم ، ولكنه لن يصبح معلما ناجحا وفنانا ماهرا إلا إذا استطاع تطبيق النظريات والحقائق العلمية ، وجعلها مهارات وخبرات اكتسبها بطول الممارسة والتدريب والمران لتصدر عنه دون تكلف .

ومن هنا نجد أن « المقومات الأساسية للتعليم إنما هي ، بالاضافة إلى المعلومات الصحيحة تلك المهارة التي تتمثل في موقف المدرس وشخصيته وحسن اتصاله بطلابه وحديثه إليهم ، وحسن استماعه كذلك إليهم ، والاجابة عن أسئلتهم ، وبراعته في استهوائهم وتشويقهم ، وقدرته على إيصال الحقائق العلمية الصحيحة إلى عقولهم بسهولة ووضوح »[2] .

من هنا نرى أن العملية التعليمية عملية فنية صعبة معقدة بالغة التعقيد متكاملة الأطراف إذا نفذت بدقة ووفق خطة مرسومة وأسس سليمة ، ونعني بالخطة هنا الطريقة أو الأسلوب الذي تتخذه المؤسسة والذي يرتضيه كل من المعلم والطلاب كوسيلة تؤدي إلى تحقيق العملية التعليمية التي تهدف المؤسسة إلى تحقيقها . وهذا يتطلب من القائم على العملية التعليمية بالإضافة إلى الطرق الخاصة بتدريس المواد المختلفة ، وما يراعي فيها من أصول وأسس ، ينبغي أن تقدم الطريقة السليمة على عنصرين هامين هما :

---

(١) الاتجاهات التربوية المعاصرة ط ٢ ، ١٩٧٩ م . ص ١١٠ ، ١١٨ .

(٢) انظر : رائد التربية العامة وأصول التدريس ط ٢ ، ١٩٧٠ ص ٤١ .

الأول : أساس نفسي : وهو الادراك الكامل لطبيعة الطلاب وكيفية تعلمهم .
والثاني : الفهم الكامل لظروف الحياة في البيئة التي عاش ويعيش فيها الطلاب ــ وان كان هذا العنصر الثاني صعبا تحقيقه بالنسبة لطلاب المعهد لأنهم أتوا من بيئات متباينة ومختلفة .

« والواقع أن موضوع الطريقة في التربية له من الأسس الفلسفية والنفسية ما يحتم أن يكون المعلم واعيا كل الوعي بأهداف التربية وطرائقها ، ومن هنا ينبغي على المعلم أن يسير في خطته على النحو التالي :

١ ــ أن يبني المعلم درسه على خطة محكمة ، مرنة ، توضح الطريقة حتى تحقق الأهداف من هذا الدرس .
٢ ــ أن يتضح الغرض من الدرس حتى يعرف الطلاب له معنى ، ودلالة في حياتهم كأفراد ، وكأعضاء مجتمع ينتمون إليه .
٣ ــ أن يأخذ الطلاب دوراً إيجابيا في العملية التعليمية ، بتوجيه من المعلم وارشاده .
٤ ــ أن يثير المعلم اهتمام الطلاب ، ويحفزهم على النشاط .
٥ ــ أن يصاحب خطوات السير في الدرس عملية تقويم ، فعن طريقها يعرف المعلم مدى نجاح درسه أو فشله في اكساب تلاميذه معلومات وحقائق ذات قيمة فردية واجتماعية بما فيهم من قيم ، واتجاهات ، وعادات ، ومهارات . . إلى غير ذلك من الصفات التي تؤدي إلى النمو عند الطلاب .
٦ ــ أن يتبع المعلم الطريقة المناسبة لطبيعة درسه وظروف طلابه والمواقف التعليمية التي يتعرضون لها ، وقد يلجأ المعلم إلى استخدام نوع أو أكثر من أنواع طرق التدريس حسبما يمليه عليه الموقف التعليمي والهدف من الدرس[١] .

ومهما كان المنهج محكما ، والخطة متقنة فإنه يجب ألا يغيب عن الأذهان ــ لحظة ما ــ أن المعلم هو سيد العملية التعليمية ، والمحرك الأول لها ، والعنصر الأساسي لنجاحها . ولهذا يجب التدقيق في اختيار معلم اللغة الثانية .

ولما كان الطلاب الوافدون لتعلم هذه اللغة من بيئات مختلفة ، ويتحدثون لغات متنوعة ، ولهم ميول متباينة ، وظروف نفسية واجتماعية متعددة ، لذا كان من الضروري

(١) المعلم والتربية ط ٢ ــ ١٩٨٢ ، ص ١٠٠ .

أن يكون المعلم في مستوى الأهمية المنوطة به . والآمال المعقودة عليه ، ولكي ينجح في عمله كمعلم ، وفي تأدية أدواره الأخرى في المجتمع الاسلامي لا بد أن يكون صالحا في دينه وخلقه وشخصيته وعلمه وثقافته العامة ، ويجب أن يكون انتقاؤه واعداده لمهنته سليمين تماما ، فإذا تطرق النقص إلى اختياره أو اعداده فإنه بقدر هذا النقص يكون النقص فيمن يعلمهم .

إن أهم ما يجب الاهتمام به ، وبإصلاحه هو المعلم باعتباره العنصر الأساسي في العملية التعليمية ، وفي الموقف التعليمي الذي يتفاعل معه المتعلم ، ويكتسب عن طريق تفاعله ، مع عناصره المختلفة خبراته ومعارفه ومهاراته واتجاهاته ، فإذا كان هذا الموقف التعليمي يدخل ضمن عناصره : الكتاب المدرسي ، والوسائل التعليمية وما يحتويه الفصل من أثاث وأدوات وملصقات وما إلى ذلك ، والعلاقات المتفاعلة والعواطف السائدة بين من يضمنهم الموقف التعليمي من أشخاص ، فإنه من أهم عناصر هذا الموقف عنصر المعلم الذي يقود ويوجه العناصر الأخرى في الموقف التعليمي ليجعلها في وضع تخدم معه العملية التعليمية وتساهم في انجاحها .

ولهذا فإنه لا يمكن أن يصلح حال التعليم ، ولا الموقف التعليمي إلا إذا صلح حال المعلم دينا ، وخلقا ، وثقافة عامة ، وإعدادا فنيا وتربويا ، وشخصية . أو بعبارة أخرى إن حال التعليم لا يمكن أن يصلح إلا إذا كان المعلم في وضع يمكنه من تنظيم الموقف التعليمي وترتيبه وتوجيهه الوجهة النافعة للعملية التعليمية ، والميسرة لسبيلها على المتعلم ، والمعلم الصالح من النواحي التي ذكرناها يستطيع بكل تأكيد أن يعوض كثيرا من جوانب النقص في العناصر الأخرى للموقف التعليمي من : منهج ، ووسائل تعليمية ، ومبنى مدرسي ، وغيرها من العناصر[1] .

(١) بحوث ندوة خبراء أسس التربية الاسلامية بمكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ـــ بحث عن « اعداد المعلم وأثره في تطبيق منهج التربية الاسلامية ، للدكتور عمر سعيد التومي الشيباني ص ٤ ، السجل العلمي للندوة العالمية لتعليم العربية لغير الناطقين بها : الصعوبات النفسية التي تعترض تعلم الكبار للغة العربية : للدكتور عبد المجيد سيد أحمد منصور ص ١٠١ ، وما بعدها ، رائد التربية العامة وأصول التدريس ط ٢ ـــ ص ٤٢١ .

Kingsley, H. K. and Garry, R. The Nature and Conditions of Learning (Second edition) New York, American Book Company, 1959, P. 361 - 380 .

لقد أصبح الإيمان بأهمية المعلم وبدوره القيادي في العملية التربوية داخل الفصل وخارجه أحد المبادىء والمسلمات الأساسية التي تقوم عليها التربية الحديثة نظرية وتطبيقا . وقد جاءت ملاحظات وأقوال المربين المحدثين جميعا مؤيدة لهذا المبدأ ومعبرة عنه[1] . فيكاد يكون هناك اجماع على أن المعلم هو أهم عامل في العملية التربوية فالمعلم الجيد ــ حتى مع المناهج المتخلفة ــ يمكن أن يحدث أثرا طيبا في تلاميذه . وعن طريق الإتصال بالمعلم يتعلم التلاميذ كيف يفكرون وكيف يستفيدون مما تعلموه في سلوكهم . ومهما تطورت تكنولوجيا التربية ، واستعملنا وسائل مثل : التليفزيون التعليمي ، فلن يأتي اليوم الذي نجد فيه شيئا يعوض تماما عن وجود المعلم ، فالمرونة في مسير الدروس ، وتهيئة فرص النقاش ، ومراعاة المستويات المختلفة ، ونحو ذلك ، أمور لا تتيسر إلا في دروس يديرها المعلم ذاته[2] . ومن هنا نجد أن الاهتمام بالمعلم ــ خاصة معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها ــ وتطوير إعداده يجب أن يكون إحدى القضايا الهامة على المستوى العربي والاسلامي .

ومن أهم مقومات الشخصية الناجحة التي ينبغي أن تتحقق في معلم اللغة الثانية ــ خصوصا ــ مقوما التكامل والنضج[3] ، ويقصد بتكامل الشخصية أن تنمو في كافة الأبعاد والجوانب الروحية والنفسية والمزاجية والعقلية والاجتماعية والبدنية ، أما بالنسبة لمقوم النضج فإنها تعني أن تصل شخصية الإنسان درجة مناسبة من النمو السوي في كافة جوانبها وأبعادها تكوينا ووظيفة .

ويمكن تصنيف الصفات المرغوبة في معلم اللغة الثانية ــ ومنها مادة الأدب والنصوص ــ تحت الفصائل التالية :

---

(١) من أسس التربية الاسلامية : للدكتور عمر محمد التومي الشيباني ص ٥٧ ، وما بعدها ، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها جـ ٣ ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٢١١ وما بعدها .

(٢) فلسفة النظام التعليمي وبنية السياسة التربوية : أحمد حسن عبيد ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٧٣ .

(٣) لا نريد الافاضة في الحديث عن المعلم ــ خاصة وأن هناك أبحاثا كاملة عن المعلم عموما ــ وان ما نورده هنا مجرد نقاط لا غنى عنها لتتمة بنية الموضوع .

(أ) صفات روحية خلقية تتمثل في الايمان الصادق القوي بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، وبما تضمنه الدين الاسلامي من مبادىء وقيم خالدة .

(ب) صفات انفعالية وجدانية تتمثل في الاستقرار النفسي والتوازن العاطفي ، والقدرة على ضبط النفس في المواقف التي تثير الانفعال ، والتحلي بروح الأمل والتفاؤل في الحياة ، والتكيف مع النفس ومع المجتمع الذي يعيش فيه ، ويستطيع أن يتذوق الجمال ، والانفعال له ، والاستمتاع به في أشكاله وأنواعه المختلفة .

(جـ) صفات عقلية تتمثل في الذكاء والقدرة على حل المشاكل ومواجهة المواقف والحكمة في التصرف ، والسداد في الرأي ، وسرعة البديهة ، وما إلى ذلك .

(د) صفات اجتماعية تتمثل في التحلي بالروح الاجتماعية ، ومشاركة الطلاب في مناسباتهم المختلفة ، والرغبة الصادقة في خدمتهم ومساعدتهم على التقدم والتطوير المطلوب والتضحية في سبيل تعلمهم ، والقدرة على بناء علاقات طيبة معهم والاخلاص في العمل والتفاني فيه واتقانه ، وتقدير الواجب والوقت والمسئولية .

(هـ) صفات بدنية مظهرية تتمثل في صحة الجسم ولياقة البدن ، وحسن الهيئة وما إلى ذلك .

(و) صفات مهنية تتمثل في الرغبة الصادقة والأكيدة في تعليم هؤلاء الطلاب وفهم طبيعة تعليمهم ، وميولهم ، والمهارة في استخدام أحدث الطرق والأساليب والوسائل التربوية والتعليمية والمثابرة على تتبع هؤلاء الطلاب في الفصل وخارجه .

(ز) صفات علمية تتمثل في ضرورة إتقان اللغة العربية إلى جانب معرفة لغة الطالب الأم ــ كلما أمكن ــ أو على الأقل لغة وسيطة كاللغة الانجليزية أو الفرنسية أو التركية أو الفارسية ، والقدرة على التحليل المقارن والمشاكل اللغوية التي يواجهها الطالب ــ وما أكثرها ــ في تعلم اللغة العربية ، وهذا يعني الالمام بصوتيات اللغتين وتراكيبهما ومعانيهما وعلاقة كل لغة منهما بثقافة الناطقين بها ومن هنا يصبح المعلم قادرا على فهم الدراسات المقارنة بين اللغتين ، وبذلك

يستطيع أن ينمي المهارات اللغوية الجديدة للطالب إلى جانب تذوقه لأدب تلك اللغة[1] .

ورغم كل هذا فلن يصبح الطريق ممهدا وسهلا ، وإنما على هذا المعلم الكفء أن يتوقع الكثير من الصعوبات التي تواجه دارس اللغة العربية من غير الناطقين بها والتي لا يمكنه وحده حلها وإنما تحتاج إلى تضافر جهود المؤسسة التعليمية كلها (أعني معهد اللغة العربية ، الإداريين والمدرسين)[2] ، ولهذا سنخص بالذكر هنا بعض المشاكل التي تعترض دارس النصوص الأدبية ـــ من واقع التجربة العملية .

١ ـــ صعوبة تمييز الأفكار الأساسية للنص من خلال التفاصيل أو الفكرة الرئيسية من دلائلها المؤيدة . وهذه يمكن التغلب عليها عن طريق أسئلة للاستيعاب محكمة الصياغة بعد شرح المفردات والمعاني شرحا وافيا .

٢ ـــ عدم القدرة على استخدام أدوات الحوار مثل : كلما ، فقد ، أما ، حيث ، إذ . . وهذا يتطلب تضافر جهد القائمين بالتعليم لسائر المواد ، خاصة مواد : التعبير ، القواعد والقراءة .

٣ ـــ كثيرا ما يخطيء طلاب المرحلة المتوسطة ـــ وأحيانا المتقدمة ـــ في التمييز بين أصوات بعض الحروف مثل : س ش ، ق ك ، أ ع ، وهناك أيضا يأتي دور التكامل في الجهاز التعليمي فيستعان بعمل الصوتيات وتسجل هذه الحروف في

---

(١) انظر : بحوث ندوة خبراء أسس التربية الاسلامية : اعداد المعلم للدكتور عمر محمد التومي الشيباني ، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها : اعداد معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها للدكتور رجاء توفيق نصر جـ ٢ ص ١٣ .

(٢) هناك أبحاث كثيرة تناولت مشاكل الطلاب الادارية والعلمية نذكر منها على سبيل المثال ـــ لا الحصر ـــ الصعوبات النفسية التي تعترض تعلم الكبار للغة العربية للدكتور عبد المجيد سيد أحمد منصور جـ ٣ ص ٩٧ ، طلاب العربية غير الناطقين بها ومشكلاتهم : للدكتور عبد السميع محمد أحمد جـ ٣ ص ٤٨ ، أنواع طلاب العربية من غير الناطقين بها ومشكلاتهم : للدكتور على محمد الفقي جـ ٣ ص ١١٣ ، هذه الأبحاث في السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها ١٣٩٨ هـ ـــ ١٩٧٨ م ، اللغة العربية : أصولها النفسية وطرق تدريسها : للدكتور عبد العزيز عبد المجيد ، الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

نطاق الكلمات العربية الأصيلة منطوقة نطقا سليما ، ومع التكرار والإلحاح تتحسن أحوال الطلاب .

٤ ــ عدم القدرة على التمييز بين فهم المعنى المجازي ــ على كثرته في درس النصوص الأدبية ــ من ناحية ، وظاهر المعنى من ناحية أخرى ، وهو ما يعرف بالدلالة وهذا يشكل صعوبة في فهم النص ــ ليس بالنسبة لطلاب اللغة العربية من غير الناطقين بها وانما لطلاب العربية أنفسهم ــ فإذا أخذنا مثلا قول شاعرنا محمد ابراهيم أبو سنة :[1]

والنجم ما يزال في عيوننا
والحب يغرق الجبال بالمطر

فهو يعني بالنجم شبيه ما يعنيه بالقمر من رمز إلى الأمل العالي الذي يرتفع على شائبات الأرض ومنغصات الحياة الدنيا ، وهذا مثل التعبير الانجليزي **stars in his eyes** ولكن هذا التعبير يعني مجرد السعادة التي تجعل العيون تبرق فرحا ، أما في بيت أبو سنة فالتركيب يعني ، إلى جانب هذا ، الأمل الغلاب والطموح الذي لا يحد .

ويقول نفس الشاعر من قصيدة « الدمعة والسيف »

أن نجلس في شرفتنا
نتذكر خدعتنا

....

....

في زمن تخجل فيه الأضواء
أن تتعرى في وجه الليل

فعلينا أن نفكر ونطيل الفكر في هذه الأضواء التى « تخجل أن تتعرى » في وجه الليل ،وكان الواجب يقضي أن يظهر النور وأن تختفي الظلمة ، كان الواجب أن تسفر الفضيلة وتتبختر مدلة بنفسها معتدة وأن تتوارى الرذيلة في خجل

(١) قضية الشعر الجديد : للدكتور محمد النويهي ص ٢٠٤ ، ٢١٦ .

وخزي ، ولكننا في زمن يتوارى فيه الضوء والفضيلة والجمال خجلا ، ويسطع فيه الظلام والرذيلة والدمامة في جرأة وقحة ، إن الشعر العربي يعج بالصورة المليئة بالرمز والايحاء والتي لا تكاد تنتهي ، اقرأ معي قول الشابي :

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديـد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورود كابتسام الوليد

لقد انبنى هذا المقطع على خطاب يجري مجرى المفاجأة لأنه غير ذي موضوع تبليغي إذ يعتمد على الوصف المطلق ، فكان خطابا وجدانيا ذا مهجة غنائية ، فأما المتوجه إليه بالخطاب فهو ضمير المخاطبة (أنت) ، حل محل الرمز ليعقد الجسر بين الملفوظ والوجدان ، فتبوأ منزلة المصداح الموحي بمتنفس الشعور ، وسنرى كيف يتحول هذا الضمير إلى مفتاح الالهام الشعري لأنه سيكون ركيزة البناء ويقود الحركة في نفس الوقت ، أما البعد الرمزي في هذا الضمير فسيتبلور بتحولات دلالية يتوزع بموجبها خلال أبيات القصيدة . أما مضمون المناجاة فجاء سلسلة من الأوصاف المطلقة عبر قالب التشبيه تداخلت فيها محصلات الحواس وتقديرات القيم المودعة في مخزون الذاكرة الانسانية ، وهو ما ساعد الإيحاء الرمزي على استيعاب مضامين الدلالة داخل منطوق اللفظ . فـ (الطفولة) ـــ رديف الوداعة ـــ تأخذ بمجامع الحواس ولكن تستقطبها حاسة اللمس بعد حاسة البصر و (الأحلام) صورة الانعتاق من قيدي الزمان والمكان ، و (اللحن) نشوة الحس السمعي ، و (الصباح الجديد) فيض من الإشراق لا ترجح فيه حاسة النظر إلاّ حاسة الاستنشاق ، أما في (السماء) فيزدوج التعالي مع إبصار (الضحوك) كما يزدوج في (الليلة القمراء) الضياء والأنس ، وتعود حاسة الشم لتأخذ من (الورد) ما لا تستبد به دون النظر ، وتتفلق دائرة التصوير بما انفتحت به في حركة إرجاعية تربط ما في (ابتسام الوليد) من براءة بما كان في (الطفولة) من وداعة[1] .

وهكذا نجد حركة الايحاء تزخر بطاقة من التضمين الدلالي تتحول بها القدرة

(١) انظر مجلة النقد الأدبي « فصول » المجلد الأول العدد الثاني ، يناير ١٩٨١ ص ١٤٧ .

التعبيرية في اللغة من استطاعة التصريح إلى سعة التقدير ، وهكذا في سائر القصيدة .

إن هذه النقطة تجرنا إلى عملية اختيار النص وهي ليست بالعملية السهلة خاصة بالنسبة لدراس اللغة الثانية ، وهذا ما سنوضحه فيما بعد .

٥ ــ تبرز إلى جانب هذه المشاكل مشكلة خاصة « بالنصوص الشعرية » وهي ما يعرف بالضرورة الشعرية ــ وكما نعرف هذه الضرورات بعضها يختص بالقافية ، وبعضها بالوزن ، وثالث بالصرف ، ولكن بمعايشة بعض هذه الضرورات فيما يدرسه الطلاب من نصوص يستطيعون فهمها وهضمها خاصة في المستوى المتقدم .

٦ ــ وأخيرا مشكلة الحفظ التي تسبب أرقا للطلاب . وهذه سنعرض لها فيما بعد .

ولكن مع توفر هذه الإمكانات والوسائل فقد لا تستطيع المؤسسة التعليمية أن تحقق أهدافها إلا إذا توافرت بين القائمين بالعمل فيها العلاقات الطيبة والتعاون الصادق الذي يدفعهم إلى التفكير في أفضل الوسائل التي تساهم على تعلم هؤلاء الطلاب وجعلهم يتفاعلون معهم ، ويستجيبون لهم داخل الفصل وخارجه . . كما أن توافر العلاقات الطيبة بين العاملين بالمعهد كثيرا ما يمكنهم من التغلب على كثير من الصعوبات الإدارية والفنية والتغلب عليها ويخلق الجو الصحي المناسب لنجاح العملية التعليمية[١]

هذا وتجدر الإشارة إلى أن مناهج تعليم اللغة يكمل بعضها بعضا ، فالغرض الرئيسي من تعليم اللغة هو اقتدار التلاميذ على أن يتخذوها وسيلة للتفاهم ، وعلى هذا الأساس ينبغي أن يقع عبء تعليم اللغة على المعلمين جميعا ، لا على معلم اللغة وحده ــ والمقصود هنا أن تكون المناهج المقررة على الطلاب متكاملة متداخلة يكمل بعضها بعضا ويخدم كل منها الآخر .

وفي هذا المجال يجب أن لا تغفل المهارات البديئة لهؤلاء الطلاب الوافدين من بلاد مختلفة ، فمن المهم أن نسأل أنفسنا عن المهارات السابقة المبدئية لدى طلابنا ، وما أيسر أن نجيب على هذا السؤال شأن الكثيرين بأن الطلاب المبتدئين ليس لديهم من المهارات ما يجدر ذكره ، وما أيسر أن نفترض مع المفترضين أننا نبدأ مع هؤلاء الطلاب

(١) التعليم الابتدائي بالمملكة العربية السعودية ص ١٩ .

من لا شيء من نقطة الصفر ، ولكن الحقيقة تخالف ذلك . صحيح أن المبتدئين في دراسة اللغة العربية لا يعرفون شيئا ، إلا أنهم يملكون أرصدة هامة أخرى يجدر بنا أن نتعرف عليها ، وأن نستغلها في سعينا وراء أهدافنا وأهم هذه الأرصدة المهارتان التاليتان :

الأولى : هي أن طلابنا بشر ذوو عقول ومشاعر . . بمعنى أنهم قادرون على اكتشاف المعاني إذا تسلحوا بالمهارات المناسبة ، أضف إلى ذلك أن لهم بعض المعرفة بالعالم المحيط بهم وبالبشر المحيطين من حولهم ولهم القدرة التي يختص بها البشر على التعاطف والاستدلال والاستنباط ، وعلى استعادة المواقف ، وفرض الفروض واختبار صلاحيتها ، كما أن لهم القدرة على التخيل والتصور ، وهكذا كل هذه القدرات البشرية يجب أن تستغل وأن يكون لها دورها في الموقف التعليمي بين الطالب وأستاذه .

المهارة الثانية : هي أن طلابنا أكثرهم كبار ومتعلمون نمت فيهم القدرة على معالجة واستخدام لغتهم الأم وعلى استعمال المهارات التي أوضحنا ضرورتها في تعلم اللغات الأجنبية ، فقد اكتسبوا من قبل عادة التخمين الذكي ، وعادة البحث عن القرائن والأدلة ، وعادة الخوض في النصوص سعيا وراء المعنى الجوهرى دون سواه من الأفكار الثانوية أو غير الجوهرية ، واكتسبوا عادة التصفح والمطالعة السريعة تطفو أعينهم فيها على الورق لتستقر على النقاط الرئيسية وحدها ، أي أنهم باختصار قد اكتسبوا من قبل مادة القراءة من أجل الجوهر والخلاصة ، وعلينا إذن أن نستغل هذه المهارات ونستثمرها بمنتهى الحرص والعناية[1] في تعليم هؤلاء الطلاب الوافدين لمختلف فروع اللغة العربية ، ومن بينها مادة النصوص الأدبية .

والمقصود بالنصوص الأدبية : هي القطع التي تختار من التراث الأدبي ، يتوافر لها حظ من الجمال الفني ، وتعرض على الطلاب فكرة متكاملة ، أو أفكارا مترابطة تكون أساسا للتذوق الأدبي ، مع الاكتفاء ببعض الصور السهلة للمتوسط الأول والثاني ويمكن بسط القول والتعميق ــ إلى حد ما ــ في المرحلة المتقدمة ، وتتخذ مصدرا لبعض الأحكام الأدبية لعصر من العصور ، أو فن من الفنون ــ ومن هنا يخطىء من يحد

(١) السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها : بعض الأولويات في تدريس العربية كلغة أجنبية : للدكتور بيتر عبود جـ ٣ ص ٨ وما بعدها .

الدراسة الأدبية بحدود زمانية أو مكانية ـــ فالدراسة الأدبية لها المكانة الأولى في إعداد النفس ، وتكوين الشخصية ، وتوجيه السلوك الانساني ، علاوة على أن درس الأدب هو الفترة التي تتخفف فيها أذهان الطلاب من أثقال الدراسة العقلية وتتحرر فيها عقولهم من صرامة التعاريف والقوانين ، والضوابط ، والصور المنطقية التي تثقل الفكر ، ودرس الأدب هو الفترة التي تتخفف الأذهان من معالجة المواد الجامدة ، وتخلص فيها إلى النوازع البشرية ، والطبائع الانسانية ، فيرى فيه الطلاب حياتهم ، ويحسون وجودهم ، والأدب عموما له أكبر الأثر في تربية الشعوب وتكوين الأجيال .

ولكن ماهي الغاية من دراسة النصوص الأدبية لهؤلاء الطلاب ؟ وببساطة شديدة يمكن أن نوجز الغاية في النقاط التالية :

١ ـــ امداد الطلاب بثروة لغوية وفكرية تعينهم على إجادة التعبير .
٢ ـــ تدريبهم على فهم الأساليب الأدبية .
٣ ـــ تدريبهم على حسن الأداء ، وجودة الالقاء ، وتمثيل المعنى .
٤ ـــ إثارة الوجدان ، وإيقاظ العواطف الشريفة ، وتقويم الأخلاق ، وتهذيب السلوك بما تشتمل عليه القطع من المعاني السامية والمقاصد النبيلة ، وبما يرسمه الأدباء في انتاجهم من صور المثل العليا التي تنصر الحق والخير والجمال .

ولكي نحقق هذه الأغراض يجب التدقيق في عملية اختيار النصوص ، وأن تكون وفق أسس مدروسة دراسة واعية ، ومن ذلك :

١ ـــ أن يكون النص متصلا بمناسبة ـــ ما ـــ تصلح أن تكون أساسا وتمهيدا له ، سياسية أو اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو شخصية . . الخ ، المهم أن تكون في النهاية تعالج موقفا إنسانيا ، وكلما خرج النص من نطاق المحلية إلى العالمية يكون أجدى وأقوى تأثيرا في نفس الدارس . ووجه اتصاله بمناسبة للأسباب التالية :
(أ) الربط بين الأدب والحياة ، وبيان أن الأدب ليس شيئا كماليا في الحياة .
(ب) هذه المناسبة التي يمهد بها للنص تثير الطلاب ، وتشوقهم إلى النص .
(جـ) في التقديم للنص بذكر مناسبته تلوين العمل في الدرس حتى لا يمل الطلاب ويسأموا من إطالة النظر إلى مادة النص نفسها .

(د) بعض أفكار النص لا يمكن شرحها إلا بفهم مناسبتها .

٢ ــ أن يكون النص خصبا قويا ، يمثل روح عصره ، ويصور أهم ما فيه من ظواهر اجتماعية أو خلقية أو سياسية ، أو غير ذلك ، فهناك نصوص قوية للدلالة على هذه الظاهرة ونصوص أخرى خافتة الصوت ، حائلة الصور ، فنختار من النوع الأول .

٣ ــ يستحسن أن تتألف من مجموعة النصوص المختارة للعصر المدروس صورة واضحة متكاملة لهذا العصر ، من حيث أدبه وخصائصه الفنية وتاريخه المرتبط بهذا الأدب . هذا بالنسبة لطلاب المرحلة المتقدمة وما بعدها ، أما طلاب المرحلة المتوسطة فلا يجب أن تتقيد بمثل هذا القيد إطلاقا وانما تختار لهم النصوص التي تناسبهم بشرط أن تكون ذات مستوى فني وفكري رفيع .

٤ ــ أن يكون النص من الطول بحيث يكون كافيا لتحصيل المتعة للقارىء ، وكافيا أيضا لتصوير ما سيق من أجله من مظاهر اجتماعية أو سياسية . . أو غيرها ، وكافيا ــ كذلك ــ لتوضيح بعض الخصائص الفنية ، وعلى هذا الأساس لا ينبغي أن نعرض أبياتا مقتضبة لمجرد الوصول إلى حكم أدبي وصولا سريعا عاجلا ، إلاَّ فيما يختص بالمتوسط الأول والثاني ، فالنص كلما كان غير طويل يكون أنسب وأفضل .

٥ ــ أن يساير النص أهداف المنهج (في المتقدم) .

٦ ــ أن تمثل النصوص المختارة قضايا إنسانية ذات مغزى يثير كوامن النفس .

ولننتقل الآن من التجريد النظري إلى التطبيق العملي ــ إن صح هذا التعبير ــ على ضوء هذه الاسترشادات الاستنارية[1] .

فمن المقطوعات الشعرية التي تناسب طلاب المتوسط ، قول عروة بن الورد[2] :

(١) الواقع أن عملية اختيار نص أدبي لطلاب غير ناطقين باللغة العربية غاية في الصعوبة وفي نظري أن ذلك يحتـاج إلى جهد مضني وتجارب عديدة ، ليس هذا فحسب وانما يحتاج أيضا إلى تضافر جهود الهيئات المعنية بتعليم العربية لغير الناطقين بها .

(٢) ديوانه ص ٥٨ .

ذريني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وأدناهم ، وأهونهم عليهم وان أمسي له حسب وخير
يباعده القريب وتزدريه حليلته وينهره الصغير
ويلفى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد لاقيه يطير

إن جمال هذه الأبيات القليلة يكمن في تناهي بساطتها ، وتعبيرها الدقيق عن رؤية صادقة لجانب من جوانب الحياة الانسانية : الفقر والغنى ، ذلك المعنى الإنساني الذي جعل الأبيات تتردد على كل لسان .

إن رؤية الحياة من جوانبها الإنسانية المختلفة كثيرة في الشعر الجاهلي[1] .

فإذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث نجد أن رؤية الشعراء للحياة أوضح وأعمق بما تحمله في طياتها من معان إنسانية مختلفة . من ذلك قول أبي القاسم الشابي[4] :

وأود أن أحيا بفكرة شاعر فأرى الوجود يضيق عن أحلامي
إلاَّ إذا قطعت أسبابي مع الدنيا وعشت لوحدتي وظلامي
لكنني لا أستطيع ، فإن لي أماً ، يصد حنانها أوهامي
وصغار إخوان يرون سلامهم في الكائنات معلقا بسلامي

إن هذه الأبيات رغم أنها جزء من قصيدة إلا أنها استطاعت أن تعطينا معنى إنسانيا متكاملا ، إنه الشعور بالمسئولية العميقة القائمة على العواطف الكريمة الخالصة ، إنه شعور الأخ الكبير الذي يذوب في سبيل إخوانه الصغار ، وأمه العجوز ، يحرص عليهم أكثر من حياته فيضحي في سبيلهم بكل شيء .

فإذا ما انتقلنا إلى قصيدة أخرى مثل قصيدة : « الدمعة والسيف » نجد أن محتوى هذه القصيدة وصف مخيف لفظاعة هذا العصر الذي تعيش فيه الإنسانية ، عصر

(٣) انظر على سبيل المثال معظم شعر الصعاليك (المقطوعات) ، عمر بن الاطنابة في ديوان الحماسة جـ ٤ ص ١٦٣٢ ، المثقب العبدي ، المفضليات ص ٢٩٣

(٤) أغاني الحياة ص ١١٤ .

الحروب المنتشرة في كل ركن من أركان الأرض ، عصر الشكوك والأحقاد وسوء الظن والخوف والقتل والإهلاك . يقول الشاعر أبو سنة[1] :

أن نتقاتل في منتصف الليل
أن لا يجد الموتى في هذا الدغل
من يبكيهم أو يتلو لهم الصلوات
أن تصبح كل طقوس الحقد شعار العالم
أن تتحجر كل البسـمات
فى وجـه ظالم
أن يتآكل في الظل جميع الضعفاء
تستقبل ميلاد الأطفـال
أن ينحل عنـاق العشـاق
كي تنمـو أجنحـة الخـوف
لا شيء سـوى الدمعة والسـيف
هذا ميراث الأجيـال
الدمعـة والسـيف
....

إن شناعة هذا التقاتل هي أننا في ظلام الليل كالناقة العشواء قد نقتل أصدقاءنا قبل أن نقتل أعداءنا ، أضف إلى هذا أننا نحول الوقت الذي كان ينبغي أن نخصصه للمحبة والائتناس والمرحمة إلى أغراض البغض والتدمير . إن شناعة هذا الموت أن من نخلفهم وراءنا في تصارعهم وتناحرهم لا يجدون برهة يذرفون فيها علينا دمعة أو يرددون استرحاما . وتعبيره عن هذا العالم القاسي المكتظ بالشر والاعتداء بالدغل تعبير موفق يذكرنا بشريعة الغاب التي تسود عالم الحيوان الوحشي ، فها هي قد انتقلت إلى عالمنا الإنساني ، إن الناس يتسمون ويتحدثون بالحب والسلام وهم عتاة جبابرة وقساة ظالمين ، ثم يصور عفونة المجتمع الإنساني والتهام الواحد منهم الآخر حين يقدر عليه ـــ

(١) ديوانه : قلبي وغازلة الثوب الأزرق ، وانظر أيضا قضية الشعر الجديد : للدكتور محمد النويهي ص ٢١٢ .

وكونهم فقراء يزيد من فظاعة الصورة ــ ثم تصويره لنمو العاصفة وتتابع عصفها في ضربات متواثبة تتحين الأحايين لهؤلاء الأطفال لتنقض فور ما يولدون . إن هذا ما يخلفه الآباء للأبناء .

إننا إذا دققنا النظر في تلك الأبيات الممتازة نجد أنها من أصدق الشعر وأجمله وأقواه تأثيرا ، على تصوير اللوعة والحسرة على ما كان موجودا ثم ضاع ، أو ما اقترفناه من جرائم الحروب والأحقاد التي أفسدت حياة الإنسان بدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخنا الإنساني كله .

وهذا نموذج من الشعر الوطني الحي الذي ينبض بالحيوية والحب الأكيد للوطن ، للشاعرة فدوى طوقان من قصيدة عنوانها « حَيٌّ أبداً » تقول[1] :

موطـــننا الحبيب ، لا
مهما تدر عليك في متاهة الظلم
طاحونة العذاب والألم
لن يستطيعوا يا حبيبنا
ان يفقأوا عينيــك لن

ليخنقـوا الأحـلام والأمـــل وليصلبوا حرية البناء والعمل
ليسرقوا الضحكات من أطفالنا ليهدموا ، ليحرقوا ، فمن شقائنا
من حزننـا الكـبير ، من تدفق الدماء في جدراننا
من اختلاج الموت والحياة ستبعث الحياة فيك من جديد
يا جرحنا العميق أنت ، يا عذابنا يا حبنا الوحيد

إن هذه الأبيات ليست بحاجة إلى شرح أو تعليق لما تتميز به من مشاعر صادقة وأحاسيس عميقة تجاه الوطن تبعث القوة والأهبة للعمل ، وأن النصر لا بد أن يأتي بإذن الله .

(١) وجدتها : فدوى طوقان ، انظر : في الأدب العربي الحديث للدكتور يوسف عز الدين ص ٢٨٣ .

فإذا ما انتقلنا إلى مرحلة المتقدم فيمكن تقديم نصوص أكثر طولا ، وأعمق تصويرا لما سيقت من أجله من مظاهر اجتماعية وسياسية . . بوضوح تام ، مع القدرة على إبراز الخصائص الفنية للعصر الذي قيلت فيه . إن من الأمثلة التي تحمل تلك المعاني مقطوعة قطري بن الفجاءة التي يقول فيها[1] :

أقول لها وقد طارت شعاعا — من لأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم — على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا — فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز — فيطوي عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي — فداعية لأهل الأرض داعي
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم — وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة — إذا ما عد من سقط المتاع

إن هذه الأبيات في انكارها الخضوع ، ورفضها الرضا بحياة الهوان ، وتجربتها في مواجهة الموت في سبيل المبدأ ، وما تفيض به من صدق ومعاناة وواقعية ، تضع أمامنا نماذج للشعر الملتزم أقوى ما يكون الالتزام وأصدقه . على أن هذه الأبيات لا يسهل تصنيفها في أغراض الشعر التقليدية ، فهي تعبر عن تجربة جديدة بحق ، إذ هي في مواجهة الموت ، وقد خلت من التمدح بالشجاعة ، والفخر بالمناجزة ، ومن ثم لا نستطيع أن نعتبرها من شعر الحماسة . ويجب أن تفهم هذه المقطوعة وأمثالها من شعر الخوارج بالذات في ظل الوعي بالأهداف الانسانية والاجتماعية والخصائص الفنية للشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .

فإذا ما انتقلنا إلى شاعر آخر كجميل الزهاوي نجده يصور موقفاً إنسانيا : هو حتمية الموت التي تنتظرنا جميعا ، فهو سيموت ولكن عجلة الحياة لن تتوقف وستظل تدور وستشرق الشمس بعد كل أفول ، يقول[2] :

---

(١) الفرق الاسلامية في الشعر الأموي ص ٦٤٧ ، مقدمة في النقد الأدبي ص ٣٧٥ .
(٢) ديوان جميل الزهاوي ص ٢١٣ .

يا ويلتا سأموت بعد قليل — وأفارق الدنيا وكل جميل
سأجد مرتحلا إلى دار البلى — بعد المقام ولا يطول رحيلي
سأحث في ظلمات ليل حالك — سيرى إلى عدم بغير دليل
سأشط عن وطني الحبيب مخلفا — صحبي هناك وأسرتي وقبيلي
سأنام ثم أنام في ملحودة — ضاقت وفي ليل على طويل
ستضيء بعدي الشمس في ضحـ — ـواتها وتعود تطلع غب كل أفول
ولسوف ينساني الألى أحببتهم — ويصد عني صاحبي وخليلي

إن هذه الأبيات لتروع القارىء بأدائها الفني المتقن ، وبما فيها من الصدق والبساطة في تصوير تلك النهاية المحتومة للإنسان . والقصيدة منذ بدايتها باكية شاكية حزينة حقا على هذا الموت الذي يترصد كل حي ، وكان في افتتاحه هذه المقطوعة بقوله « يا ويلتا » غاية في التوفيق ، ثم قوله في البيت الثالث أنه يسرع الخطى إلى هذا العدم وذلك الظلام بغير هاد ولا دليل إلى ذلك القبر الضيق الذي سيطول فيه ليله . ولكن رغم كل هذا لن تتوقف الحياة فستشرق الشمس بعد كل أفول ، وما أروع قوله : « ستضيء بعدي الشمس في ضحواتها » ، ليس هذا فحسب وانما سوف ينساني أهلي ويبعد عني أخلائي وأصحابي الذين طالما أحببتهم ، وأحبوني . ولست بحاجة إلى تأكيد القول بأن جمال هذه الأبيات يأتي من تناهي بساطتها وعمق تصويرها لتلك المأساة الإنسانية .

فإذا ما ذهبنا إلى شاعر مثل صلاح عبد الصبور نجد ثروة شعرية تفيض بالرمز وتصوير الحياة المعاصرة في أسلوب سهل ميسور[1] ـــ وسنجتزىء بقصيدة من ديوانه « الناس في بلادي » تصور وحدة الحياة في مختلف مجالي نشاطها ، يقول[2] :

في الفجر يا صديقتي تولد نفسي من جديد

(١) هناك عشرات الشعراء المحدثين الذين يصورون جوانب الحياة المختلفة المعاصرة أمثال : محي الدين فارس ، وجيلي عبد الرحمن ، نازك الملائكة ، أحمد عبد المعطي حجازي ، فدوى طوقان ، جميل الزهاوي ، أبو القاسم الشابي ، الرصافي ، البياتي ، علي محمود طه وغيرهم .

(٢) ديوانه : الناس في بلادي ١٩٥٧ .

كل صباح أحتفي بعيدها السعيد
ما زلت حيا ! فرحتي ! ما زلت والكلام والسباب والسعال
وشاطىء البحار ما يزال يقذف الأصداف واللآل
والسحب ما تزال
تَسِحُّ ، والمخاض يلجىء النساء للوساد
ويلعب الأطفال فوق أسطح البيوت
لعبة العريس والعروس ، والتبات والنبات
والورد في خد البنات
وعند شط النهر عاشقان سارحان . .

لقد وضع الشاعر إصبعه بدقة على عرق الحياة النابض في مختلف مجال النشاط الطبيعي والبشري ، من مجيء الفجر ، واستيقاظ الجسد والروح فيه ، والبحار القاذفة ، والسحب الهاطلة ،ومخاض النساء ،وانسياب النهر ، والأطفال الذين يلعبون في براءة ، والعاشقين الناضجين ، إن كل صورة من هذه الصور جزء عضوي من هذه الوحدة الشاملة ، لأنها كلها تدل على نبض الحياة وتدفقها .

ولست بحاجة إلى تأكيد القول بأن هذا شعر يخرج من نطاق المحلية إلى العالمية ، إذ أن هذه الصور الدقيقة تدل جميعها على تدفق الحياة واستقرارها وصراعها ضد الفناء[1] .

ويبقى بعد ذلك الجزء الهام من القضية ، طريقة تدريس هذه النصوص :

١ ــ التمهيد : ويكون بإثارة نشاط التلاميذ وأذهانهم إلى موضع القطعة ، عن طريق الحديث والأسئلة وذكر مناسبة القطعة ، وتصوير جوها ، والتعريف الموجز بصاحبها .

٢ ــ عرض النص : مطبوعا على الورق أو مكتوبا على السبورة بخط جميل ، ويستحسن في مرحلة المتوسط أن يكون النص مكتوبا بحروف مطبعية مميزة .

---

(١) يمكن أن نتبع نفس الطريقة في اختيار النصوص النثرية على غرار ما اتبع في اختيار النصوص الشعرية .

٣ ــ القراءة : يقرأ المدرس النص قراءة نموذجية مراعيا حسن الأداء ، وتصوير المعنى والقراءة بالنسبة للمستوى المتوسط هامة جدا ، لأنها تُقَوِّم الألسنة ، وَتُجَوِّد الالقاء ، وتساعد على فهم المعنى ، ومحو الأخطاء .

٤ ــ الشرح : وهو أهم المراحل في الدرس ، ويمكن اتباع ما يلي :

(أ) يلقي على الطلاب مجموعة من الأسئلة ، تتناول الأفكار العامة الواضحة في القطعة ، لتكوين صورة تقريبية للنص في أذهان الطلاب ، على أن تكون الأسئلة مشوقة لمزيد من التفصيل .

(ب) تقسم القطعة وحدات معنوية ، ونقصد بها البيت أو البيتين أو أبيات تعرض فكرة جزئية صغيرة يسهل فهمها .

(جـ) يقرأ هذا الجزء أحد الطلاب ، وذلك بمثابة تحديد للجزء المراد شرحه وشحذ الأذهان للتفكير فيه .

(د) شرح المفردات اللغوية بعرض مدلولاتها عرضا حسيا ، وإذا كانت مسجلة في الكتاب فلا داعي لتسجيلها على السبورة ، وكذلك الكلمات الصعبة التي تتكرر أكثر من مرة . ويتوقف معيار شرح الكلمة على مدى توضيحها لفهم العبارة التي وردت بها .

(هـ) يجب أن تكون الأسئلة الموجهة متقنة لتتكون في النهاية من إجاباتها المعنى العام للوحدة .

(و) صوغ المعنى العام للوحدة : بعد الأسئلة الجزئية السابقة يطلب من بعض الطلاب صوغ المعنى العام للوحدة في عبارة مترابطة .

(ز) الانتقال إلى وحدة أخرى ، ومعالجتها على هذا النحو حتى تنتهي القطعة مع مراعاة الربط بين تلك الوحدات .

٥ ــ التذوق البلاغي : عقب الانتهاء من شرح الوحدة ، يلفت الأستاذ أنظار الطلاب إلى بعض الكلمات وبعض الصور ، ولماذا استخدمها الشاعر دون غيرها . ويوازن بين هذه الكلمات وغيرها ، ومن هنا سوف يعرفون فضل هذه الكلمات على غيرها وتلك الصورة عن غيرها وهكذا . .

٦ ــ التحليل : بعد الانتهاء من شرح النص وتذوقه يحلله الطلاب إلى عناصره الأساسية ، عبارات موجزة أشبه بعناوين فرعية .

٧ ــ التذوق : وهي في عرف الأدباء (الملكة الموهوبة التي يستطاع بها تقدير الأدب الانشائي ، والمفاضلة بين شواهده ونصوصه ، أو تلك الحاسة الفنية التي يهتدي بها في تقويم العمل الأدبي ، وعرض عيوبه ومزاياه) . وهي لا تحصل بمعرفة طائفة من القواعد والقوانين التي استنبطها أهل البيان ، ولكنها تكتسب بممارسة الكلام الجيد ، والتفطن لخواصه ومزاياه مع توافر الاستعداد واستجابة الطبع ، وعلى ذلك يمكن تكوين الذوق الأدبي لدى هؤلاء الطلاب بوسائل نذكر منها :

(أ) هؤلاء الطلاب كبار ولديهم رصيد من المهارات ــ كما سبق أن ذكرنا ــ والملكات التي يسهل معها التمرس بالعمل الأدبي .

(ب) يجب أن لا يقف المدرسون في معالجة النصوص عند الشرح اللفظي والمعنوي ، بل عليهم أن يكشفوا للطلاب عن نواحي الجمال في التعبير وتأثيره في النفس ، ومصدر هذا التأثير .

(جـ) ألا يستأثر المدرسون بالعمل ــ في المتقدم وما يليه ــ بل عليهم أن يشجعوا طلابهم على المشاركة وأن يوفروا لهم حظا كبيرا من حرية الرأي .

(د) أن تكون الأحكام الفنية التي ينتهي إليها المدرس مع طلابه أحكاما دقيقة يتجلى صدقها وانطباقها على عناصر التعبير ، فكرة وأسلوبا ، وأن لا تكون هذه الأحكام عبارات عامة ، وجملا شائعة مشتركة ، يعوزها التحديد . مثل : التصوير الفني الرائع ، أو هذا الأسلوب الفني الرفيع ، أو هذه الموسيقى الأخاذة ، أو نحو ذلك من الأوصاف التي لا يجد الطلاب لها مقومات ماثلة يحسها ، أو يهتدي إليها بالتوجيه والتحليل .

(هـ) أن يكثر المدرسون من عقد الموازنات بين النصوص الأدبية ، أو بين بعض العبارات أو المفردات ، فالعمل الفني إذا عرض مقترنا بغيره سهلت المفاضلة بينهما ، والحكم على كل منهما .

- النثر : تتبع الطريقة نفسها ، وتقوم الفقرات مقام الوحدات في النصوص الشعرية .
- النصوص القرآنية : تعالج كالنصوص النثرية ، إلاَّ أن النصوص القرآنية ذات شقين : أدبي وديني ، والغاية من الشقين تختلف ، وتختلف تبعا لذلك

الطريقة . فالغاية من النـص القرآني في درس الدين إنما هي إدراك ما فيه من العظة والعبرة ، أما في الأدب فهي الكشف عن أسرار جماله ، وتذوق بلاغته .

إلى جانب كل ما أسلفنا من ميزات درس النصوص الأدبية ،فإنه مادة طيعة لينة يمكن استخدامها والاعتماد عليها في تدريس جميع الفروع تقريبا :

١ ـــ فهو مادة صالحة للقراءة بكل مزاياها .

٢ ـــ وهو محور الدراسات البلاغية النقدية الناجحة .

٣ ـــ موضوعات الأدب تصلح لتدريب الطلاب على التعبير الشفوي والكتابي .

٤ ـــ الطريقة السديدة في تدريس القواعد ، هي التي تعتمد ـــ في اختيار الأمثلة ـــ على النصوص الأدبية . وهكذا نجد أن الأدب مرتبط بجميع هذه الفروع .

٥ ـــ ولا يخفى على أحد العلاقة الوثيقة بين الأدب والتاريخ ، فالأديب لا يستغني عما يكمل ثقافته من التاريخ ، والتاريخ ـــ كذلك ـــ مادة خصبة للأديب ، ينظم فيها شعره ، وينشيء مقالاته وقصصه ، إلى غير ذلك من وجوه العلاقة بينهما . واذا كان للنص الأدبي صيغة تاريخية فلا مندوحة لنا عن الربط بين النص ومناسبته التاريخية[1] .

وبعد هذه خاطرة على الطريق سبقها خطوات . . ولكن ما تزال هناك الكثير من المشكلات القائمة ـــ التي تتطلب جهودا مكثفة صادقة مخلصة ابتغاء مرضاة الله ـــ من تلك المشكلات :

(أ) الكتاب أو التأليف :

ما زال الكتاب حتى اليوم ـــ وربما الغد ـــ سيد مصادر المعرفة « فهو أجدى وسيلة يعتمد عليها الطالب في تحصيل اللغة ويمكن أن يكون هذا الكتاب مقروءاً

(١) انظر : الموجه الفني ص ٢١٠ ـــ ٢٩٨ ، رائد لتربية العاملة وأصول التدريس ص ٢١٠ ـــ٢٢٠ .

أو مسموعا أو كليهما . ولكن مشكلة التأليف هذه ما تزال قائمة نظرا لاختلاف نوعيات الطلاب وبيئاتهم وأهدافهم ، ولهذا فإن من يؤلف لهؤلاء الطلاب يجب أن يكون متخصصا باحثا ، يزن المادة بمقاييسها لا بمقياسه هو »[1] ، مع مراعاة ما يلي عند تأليف المادة الأدبية :

١ ــ أن تشتمل على طائفة من النصوص تزيد على القدر الذي حدده المنهج للدراسة والحفظ ، وذلك ليكون هناك مجال للإطلاع الحر ، وليتسع أمام المدرسين فرصة الاختيار .
٢ ــ أن تمثل الاختيارات أغراضا إنسانية مختلفة تتناسب مع مستوى الدارسين .
٣ ــ مراعاة الربط والتكامل والتسلسل بين المستويات بعضها وبعض .
٤ ــ ارتباط مادة النصوص بالمواد اللغوية الأخرى ــ القراءة ..الكتابة .. التعبير ، القواعد . . الخ .
٥ ــ أن لا تكون النصوص مسرفة في الطول أو الاقتضاب .
٦ ــ أن تتنوع طريقة الكتاب في عرض النصوص وشرحها ، وذلك :

(أ) بأن تشرح أكثر النصوص شرحا أدبيا وافيا ، مع العناية بتحليل النص إلى أجزائه الأساسية ، واستنباط كل ما يتصل بالنص من أحكام فنية .
(ب) تشرح بعض النصوص شرحا موجزا ، يسمح للطلاب أن يزيدوا عليه .
(جـ) تترك بعض النصوص السهلة القصيرة ، ليستقل الطلاب بفهمها على ضوء بعض الأسئلة التي تذكر بعدها .

٧ ــ أن يعني الكتاب بشرح مناسبات النصوص ، وبالتعريف بأصحابها .
٨ ــ في المراحل المتقدمة بعد عرض مجموعة من النصوص المختارة من أحد العصور تجمع الأحكام التي استنبطت من النصوص ــ وتبوب وتنسق لتكوين صورة عامة لأدب هذا العصر ، وإقامة جزء من بناء تاريخ الأدب .

---

(١) انظر : أنواع طلاب العربية من غير الناطقين بها ومشكلاتهم : السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها ــ بحث للدكتور علي محمد الفقي ص ١٢٥ .

(ب) حفظ النصوص :

لا شك أن عملية الحفظ من أثقل العمليات على الإنسان ، ولكن مع هذا فإن عملية الحفظ هي التي تكون المحصول الأساسي والرصيد الذي ينتفع به الطالب ، فحفظ النصوص يساعد على انشاء الكلام البليغ ، والأداء الجيد والنطق السليم . ولعدم الحفظ هذا بعض الأسباب الواضحة (العامة) والغامضة (الخاصة) . من الأسباب العامة :

١ ــ عملية الحفظ من أصعب العمليات الذهنية ، إذ يعاني الذهن في الحفظ كثيرا من المشقة والعنت ، ويتطلب من الطالب فترة من الوقت يحس فيها بعدم الحرية والانطلاق .

٢ ــ قد تكون المادة جافة أو صعبة ، يعوزها التشويق والإثارة .

٣ ــ وقد يكون العيب في طريقة المدرس ، فقد يكون شرحه عقيما ، لا يكشف عما يفيض به النص من ألوان الجمال الفني الذي يستميل الطلاب ، ويجعلهم يقبلون على النص بشغف .

٤ ــ التهديد الشديد ، أو التهاون الكثير ، كلاهما يأتي بنتيجة عكسية ، فحمل الطالب على الحفظ يجعله ثقيلا بغيضا ، وكذلك التهاون في اختبار الطلاب بصفة منتظمة مطردة من وقت لآخر ، كل هذا يقف حائلا دون عملية الحفظ .

٥ ــ كذلك قد ينصرف المدرس إلى الشرح طوال الحصة ، ولا يهتم بتدريب الطلاب على القراءة الصحيحة ــ خاصة طلاب المستوى المتوسط ــ التي تساعد على الفهم الجيد وبالتالي على الحفظ .

٦ ــ التهاون في عدم تصحيح أخطاء النطق (كنطق س ــ ش أو ح ــ هـ .

وهناك بعض الحلول لمشكلة الحفظ هذه نوجزها فيما يلي :

١ ــ يمكن عدم تقييد الطالب بنصوص معينة للحفظ وإنما نترك له حرية الاختيار من النصوص المدروسة ، ولنا أن نطالبه بمقدار معين لا ينقصه ــ هذا بالنسبة للمتوسط ــ أما المتقدم فأمامه فرصة الاختيار أكبر إذ أننا نطالب بشواهد لمميزات العصر مثلا .

٢ ــ ابراز ما في النص من ألوان الجمال الأدبي بطريقة جذابة تجعل الطلاب يتذوقون هذا الجمال ويقبلون على النص وعلى حفظه .

٣ ــ إن ما يصل إلى الذهن بأكثر من حاسة يكون حفظه أسهل مما يصل إليه بحاسة واحدة ، ولهذا يجب أن لا يكتفي المدرس بعرض النص مكتوبا ، وانما يمكن إلى جانب ذلك تسجيله على أشرطة تذاع .

٤ ــ الاغراء والتشجيع بعقد المسابقات ، واجازة المجيدين بشتى الوسائل التي تتناسب وأعمار هؤلاء الطلاب .

٥ ــ متابعة الطلاب في عملية الحفظ شفويا وتحريرا باستمرار .

٦ ــ بيان فائدة الحفظ ، وتوضيح أثره في نبوغ الدارس لغويا وذوقيا والقدرة على شق طريقه بسهولة ويسر في المجتمعات .

٧ ــ ربط الأدب بالوسائل التعليمية كلما أمكن ذلك ، كالتسجيلات الصوتية ، أو التصوير ، فالتسجيلات تساعد على استعادة النص في أية لحظة ، وكما أن الأديب يستطيع رسم الصورة بألفاظه وخياله فان الفن يستطيع رسم هذه الصورة بألوانه وظلاله ، وفي هذا الربط ما يساعد على عملية الحفظ والاغراء به[١] .

وبالله التوفيـــق .

(١) Michel, Joseph (ed) Foreign Language Teaching: anthology, Macmillan, New York, 1967.

الوسائل التعليمية والمنهج : دار النهضة العربية ، القاهرة ط ٢ ــ ١٩٧٠ ص ٢١٩ ، ٢٦١ ، ٣٨٧ .

المراجـــــع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ أحمد حسن عبيد (دكتور) : فلسفة النظام التعليمي وبنية السياسة التربوية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦ م .

٣ ــ أحمد خيري محمد كاظم (دكتور) ، جابر عبد الحميد عصفور (دكتور) : الوسائل التعليمية والمنهج ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٠ م .

٤ ــ أحمد شوقي : الشوقيات ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٥ ــ جميل الزهاوي : ديوانه ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٢ .

٦ ــ صلاح عبد الصبور : الناس في بلادي . بيروت ١٩٥٧ .

٧ ــ عبد الحميد فايد : رائد التربية العامة وأصول التدريس ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٠ م .

٨ ــ عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) : اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، ١٩٧٣ م .

٩ ــ عبد العليم ابراهيم : الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ م .

١٠ ــ عرفات عبد العزيز سليمان (دكتور) : المعلم والتربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م .

١١ ــ عرفات عبد العزيز سليمان (دكتور) : الاتجاهات التربوية المعاصرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م .

١٢ ــ عروة بن الورد : ديوانه ، مكتبة صادر ، بيروت ، بيروت ، ١٩٥٣ م .

١٣ ــ عمر محمد التومي الشيباني (دكتور) : من أسس التربية الاسلامية .

١٤ ــ فدوى طوقان : وجدتها .

١٥ ــ أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الشرقية ، ١٩٥٥ م .

١٦ ــ ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٧ ــ محمد ابراهيم أبو سنة : قلبي وغازلة الثوب الأزرق .

١٨ ــ محمد حسن عبد الله (دكتور) : مقدمة في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م .

١٩ ــ محمد مصطفى زيدان (دكتور) : التعليم الابتدائي بالمملكة العربية السعودية دار الشرق .

٢٠ ــ محمد النويهي (دكتور) : قضية الشعر الجديد ، دار الفكر ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١ م .

٢١ ــ المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧١ هـ ــ ١٩٨١ م .

٢٢ ــ المفضليات ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ م .

٢٣ ــ النعمان القاضي (دكتور) : الفرق الاسلامية في الشعر الأموي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ م .

٢٤ ــ يوسف عز الدين (دكتور) : في الأدب العربي الحديث ، الطبعة الثالثة ، دار العلوم ، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م .

٢٥ ــ بحوث ندوة خبراء : أسس التربية الاسلامية ، مكة المكرمة ، جامعة الملك عبد العزيز ١٤٠٠ هـ .

٢٦ ــ السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها ، جامعة الرياض ، ١٤٠٠ هـ .

٢٧ ــ فصول : مجلة النقد الأدبي (الأعداد بحسب ما يذكر في الهامش) .

Michel, Joseph (ed) Foreign Language Teaching : An anthology, Macmillan, New York, 1967.

Kingsley, H.K. and Garry, R. The Nature and Conditions of learning (Second edition) New York. American Book Company, 1959 .